مواقف من قيم (التسامح، والتعاضد، والسخاء) في الدولة الفاطمية

أ.د. محمد عبد الحسين محمد الخطيب
أ.د. حسين كاظم حسون القطب
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

الحمد الله الدائمِ سلطانُهُ الظاهرِ برهانُهُ، العزيز بطشُهُ وغفرانُهُ، والصلاة والسلام على سيدنا، ونبيّنا محمد الصـــادق الأمين، والعامل بشـــريعة الحق المبين لهداية العالمين، وعلى آله الطيبيّن الطاهرين، وأصحابه المخلصين المنتجبين... وبعد؛

فهذه صفحات موجزة، في بحث عَرَضَ ثلاثاً من القيم الانسانية الاسلامية التي تحلّى بها معظمُ خلفاء الدولة الفاطمية، وكبار رجالاتها الموالينَ لها، في البقاع التي حكموها، قرابة القرنين والنصف، من عام (٢٩٧هـ الى ٥٦٧هـ)... انها (مواقف من قيم التسامح، والتعاضد، والسخاء في الدولة الفاطمية)، وقليل من كتبَ في هذا الموضـــوع، على ســـمت عنوان بحثنا المشـــار اليه... والمتأملُ يُدركُ إن هذه الشيم الخُلُقية الثلاثة، قد اجتمعت متماسكةً في الدولة الفاطمية، بعد أن أدى تســـامح الخلافة الفاطمية مع شـــرائح المجتمع المختلفة، وفرقه، وأعراقه ، ضـــمن أوجه الحياة المتنوعة، دوره الايجابي، والفعّال، فأفضـــى التسـامح الى التعاضـد، والتعاون، فيما بين الخاصـة، والعامة، فلزم ذلك نتيجة، ســـخاء الطبقة الســـياســـية الفاطمية الحاكمة، مع الرعية، لبناء مجمتع متمدن، ودولة حضـارية شـع نورها على مشـرق العالم الاسـلامي، ومغربه، حتى ضـاهت الخلافة العباســـية في بغداد، والاموية في الاندلس، عظمة، وارثاً، وتأثيراً... وبناء على ترابط القيم المذكورة، وتناغمها، تم تقسـيم منهج البحث ومادتة، على فقرات متصـلة، ليأخذ الحديث بعضـه برقاب بعض، فنوّهنا بنسب الفاطميين لأهل البيت -عليهم السلام- وسياستهم المرنة الرحيمة مع رعايا البلدان التي تحت حكمهم، ثم تقديمهم الحرية الاجتماعية المنضـبطة، والرخاء الاقتصـادي الممكن، واسـتمالة قلوب الناس بالتسـماح والجود، ولاسـيما في المناسـبات الدينية، والانفتاح على الاديان المختلفة، والمذاهب الاســـلامية غير الاســـماعيلية، وذلك بتعيين المؤهلين منهم بحســـب

معارفهم وثقافاتهم، في دواوين الدولة، والجيش، والتعليم، فضلا عن التوسع في بناء المساجد، والربط، والمدارس، وتشجيع الحركة العلمية، والأدبية، والدينية، بانشاء المكتبات العامة، ورفدها بالاف الكتب، والرسائل، في حقول التخصصات المتنوعة، وتقريب العلماء، والادباء، والفقهاء، المتميزين من المقيمين، والوافدين، إلى مجالس الخلافة الفاطمية، والاغداق عليهم... وكل ذلك اسهم في تطور الحضارة الفاطمية وقتها... وهو ما سنبين جانبا منه، والله ولي التوفيق.

مواقف من قيم (التسامح، والتعاضد، والسخاء) في الدولة الفاطمية

ظهرت الدولة الفاطمية بمذهبها الاسماعيلي، على مسرح الاحداث، بوضوح سنة (ت٢٩٧هـ)، في المغرب الأقصى، على يد مؤسسها (عبيد الله المهدي) (ت٣٢٢هـ) وبمعونة رفيقه الداعية المعروف بـ(المعلم) (ابي عبد الله الشيعي) (ت٢٩٨هـ).

وامتد سلطانها، ونفوذها، من المهدية (في تونس الآن) -التي اتخذها عبيد الله المهدي حاضرةً له سنة (ت٣٠٨هـ)- الى باقي مدن شمال افريقيا، ومصر، وبلاد الشام، وأجزاء من الحجاز، أواسط القرن الرابع الهجري[١]، إذ بنيت القاهرة[٢] أيام المعز لدين الله الفاطمي (ت٣٦٥هـ)، عاصمة جديدة لها.

وبالتركيز الموجز على حضارة الدولة الفاطمية، أيام قوتها، وأيام ضعفها، فإننا سندون في هذا البحث، شواهد، ومشاهد، من عوالم السياسة، والاجتماع، والاقتصاد، والدين، والمعارف، والعمران، عند الفاطميين، مع مايستوجب التعليق عليه، أو يُسْتحبُّ، لنستدل بهذه النصوص المستقاة من مصادر المخالفين لهم، على عظمة هؤلاء القوم، في تعاملهم المرن مع طبقات المجتمع (خواصه، وعوامه)، وسخائهم مع الرعية عمومًا، والمحتاجين منهم على وجه الخصوص، وتسامحهم (الزائد عن حده في بعض الاحيان) مع الأديان، والمذاهب، والقوميات، والأقليات...

ففي عالم السياسة، سعى الفاطميون منذ البداية الى تثبيت حكمهم، ودعوة الناس اليهم، بإشهار انتسابهم الى أهل البيت -عليهم السلام- فقال الامير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي (ت٣٧٤هـ):

((نحن الذين تسامت بهم هاشم حتى حوت شرف المعالي أجمعا))[٣].

وجعلو من مظلومية أهل البيت -عليهم السلام- شعاراً لهم يتكرر على الدوام، للتذكير بما جرى على أصحاب الحق الشرعي في الخلافة، ولاستقطاب مزيد من الاتباع لمعتقدهم، فقال الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي(ت٣٧٤هـ):

((لهفي على قَتْل الحسين، ومسلم وخزي لِمَن عاداهم وبعادُ))[٤].

ثم تعامل الفاطميون، ومَن عَمل بأمرهم، بلطف، وحكمة، مع أهل المدن التي دخلوها، فقد ذكر المقريزي (ت٨٤٥هـ) ، أن جوهر الصقلّي (ت٣٨١هـ) -أشهر قائد عند الفاطميين أيام المعز، والعزيز- كتب أماناً للناس، ولأصحاب الأراضي، مانصّه: (ولكم امان الله التام، العام، الدائم، المتصل، الشامل، الكامل، المتجدد، المتأكد على الأيام، وكرور الأعوام، في أنفسكم، وأموالكم ، وأهليكم ، ونعمكم، وضياعكم ، ورباعكم))[٥].

وحرصا من القائد جوهر الصقلّي (ت٣٨١هـ) على عدم خلخلة النظام الادراي، والقضائي ، في مصر، أول دخوله اليها، وأظهاراً لصدق نوايا الفاطميين في طمأنة المجتمع المصري، احتفظ الداخلون الجدد، بالموظفين الاخشيديين في مناصبهم، رغبة من قيادات الدولة الجديدة، في خلق جو من التسامح، والمحبة، وازالة كثير من المغالطات التي أثارتها الخلافة العباسية ضد الفاطميين، فكان من ذلك مثلاً أن أُنيطت مهمة القضاء في الدولة الفاطمية الجديدة بمصر، للقاضي أبي الطاهر محمد بن أحمد الذهلي، من أبناء السنة، وكان قد عينه الخليفة العباسي بهذا المنصب سنة (٣٤٨هـ).

وعلى الرغم من منزلة القاضي النعمان المغربي (ت٣٦٣هـ) لدى الخلفاء الفاطميين، ودوره في نشر المعتقدات الفاطمية، والدفاع عنها، الا انه لم يكلف برئاسة القضاء في مصر، وانما شارك القاضي أبا الطاهر، في النظر في بعض القضايا، حتى توفي الأخير سنة (ت٣٦١هـ)، عندها تم اعلان النعمان قاضياً للديار الفاطمية، وهو اول من خوطب بـ(قاضي القضاة)[٦].

وفي هذه المرحلة القوية من حكم الفاطميين، مدح أحد شعراء القرن الرابع الهجري، القائد جوهر الصقلّي (ت٣٨١هـ)، على بلائه العظيم في الذب عن الخلافة الفاطمية، قائلاً:

((صان الخلافة، باذلاً من دونها رأياً على جل الخطوب سديداً))[٧].

وَقَبيلَ سقوط الخلافة الفاطمية بسنوات، أدى تسامح الخلفاء الفاطميين المفرط، وغير المسوّغ، مع أعيان الناصبين العداء للمذاهب الشيعية جهرةً، الى التضييق على الخليفة الفاطمي نفسه، وسلب القرارات الخاصة به، ومن ثَمَّ انهيار الخلافة الفاطمية برمتها، مثال ذلك؛ حين وَثقَ الخليفة العاضد لدين الله الفاطمي (ت٥٦٧هـ) -آخر الخلفاء الفاطميين- بصلاح الدين الأيوبي (ت٥٨٩هـ) السنيّ المتطرف، فاسند له وزارة التفويض بأمور الدولة كلها، بنص الكتاب الآتي: (هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته عند الله سبحانه -عليك- فأوف بعهدك، وبيمينك، وخذ كتاب أمير المؤمنين ناهضاً بيمينك، وَلِمَن مضى بجدنا رسول الله، أسوة حسنة، وَلِمَن بقيَ بقربنا أعظم سلوة، **{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ}**[٨]))[٩].

ثم خلع الخليفة وأنعم، إكراماً على من لا يعرف الكرامة؛ ((عمامة بيضاء بطرف مذهب، وثوب دبيقي بطراز ذهب ، وجبة بطراز ذهب، وطلسان بطراز مذهبة، وعقد جوهر بعشرة الاف دينار، وسيف محلّى بخمسة الآف دينار... ومع الخلعة عدة بقج، و خيل، وأشياء أخرى، ومنشور الوزارة ملفوف بثوب أطلس أبيض))[١٠].

وماذا كانت نتيجة تلك الثقة العمياء؟! كانت النتيجة نكران النعمة، وخيانة الأمانة، و هدم الخلافة، وحبس أسر الفاطميين وأشياعهم حتى الموت، والاستيلاء على ملكهم، وأملاكهم...

ومن أهم سمات النواحي الاجتماعية إبّان الخلافة الفاطمية ما تمتعت به العامة في مصر على وجه التحديد، من بحبوحة العيش، وقلة الفقر، مما قل نظيره في الدول الأخرى[١١]، الى جانب حرية التصرف بما لايخرج عن أحكام الدين، والآداب العامة، فكان جمع منهم يخرج الى الشوارع، والأزقة، يطوف بالتماثيل، دون أن يعترض عليه احد[١٢].

وفي الجانب الاقتصادي الفعّال، كان لبناء مدينة القاهرة على يد القائد جوهر الصقلّي (ت٣٨١هـ)، بأمر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله (ت٣٦٥هـ)، أثره الايجابي البالغ في دوران عجلة الحياة المادية، والاقتصادية، لعموم المصريين[١٣]، اذ أضحت القاهرة العاصمة التجارية، والرسمية للدولة الفاطمية، مثلما بقيت الفسطاط عاصمة المصريين الشعبية القديمة.

ومن الأمثلة التطبيقية لمنجزات الفاطميين الاقتصـــادية النافعة، دعماً منهم للناس في ســـد حاجاتهم من الملابس، أنشأ المعز لدين الله الفاطمي (ت٣٦٥هـــ) داراً عُرِفت بـــ(دار الكسوة)، تُفصَّـل فيها للناس أنواع الثياب، والبز، في كسـوات الشـتاء، والصـيف[١٤]... ثم في دائرة أوسـع، انتعشت المهن، والحرف، والتجمعات العمالية، تحت ظل الدولة الفاطمية، اذ ((اتخذ الاسماعيليون موقفاً مؤيداً للمهن، وتمتعت التجمعات المهنية في ظل الحكم الفاطمي، برخاء عظيم، وأعْتُرِفَ بها من قِبَل الدولة، وتمتعت بامتيازات كبرى، كما لعبت دوراً كبيراً في النشاط التجاري، والصناعي، الذي تميز به العصـر الفاطمي، وسـاعدت روح التسـامح التي سـادت طوال أغلب فترات العصـر الفاطمي، على انخراط أفراد من أديان مختلفة في الطوائف، حيث كان المسـلمون، والمسـيحيون، واليهود، يُقبَلُون بنفس الشروط))[١٥].

وهذه الشـواهد المتقدمة من الحياة السـياسـية، والاجتماعية، والاقتصـادية، وماسـيتم ذكره من الجوانب الدينية، والثقافية، وتشـعباتهما، انما تعبر عن قيم التسـامح، والبذل، والتواصـل، والعدالة، التي كانت سائدة إبّان الحُكم الفاطمي.

والحديث يطول عن الناحية الدينية، ولكننا ســـنقف عند أبرز ملمح في هذه الناحية المهمة، ونقصـــد به التســـامح الديني، والمذهبي، الذي أبداه خلفاء هذه الدولة، ازاء رعاياهم من الطوائف المختلفة، فمع ان الخلفاء الفاطميين اسـماعيليون، إلا انهم لم يقسـروا الرعية على مذهبهم، بل كان العكس من ذلك، تعايشـوا مع الاديان، والمذاهب الأخرى، وتعاونوا معهم في تسـيير أمور الحياة والدولة -حتى وان كانت عقائد تلك الملل، والنحل، تمقتهم، أو على الضد منهم- فقد استمال الخلفاء الفاطميون قلوب رعاياهم، بالتسـامح، والتواصـل، والعطاء، وبخاصـة في المناسـبات الدينية، فقد ذكر ابن تغري بردي الأتانكي السـنّي (ت ٨٧٤هـــ) يوم عيد الفطر أيام المعز لدين الله الفاطمي (ت٣٦٥هـ)، بما نصه: ((انه كان يقام في ليلة عيد الفطر بالإيوان الكبير، سماط ضخم، يبلغ طوله ثلاثمائة ذراع، في عرض ســبعة أذرع، وَتُنْثَرُ عليه أصــناف الفطائر، والحلوى، حتى اذا انتهى الخليفة المعز لدين الله من أداء صلاة الفجر، عاد الى مجلسه، وَفُتِحت أبواب القصر، وَهُرِعَ الناس من جميع الطبقات، الى هذا الســماط، وتناولوا مما عليه من الطعام، على مرأى من الخليفة، ووزرائه))[١٦].

وذكر المقريزي (ت٨٤٥هـ)؛ انه في عيد الغدير، يقع تزويج الأيامى، وتوزيع الكسوة على المحرومين، وعتق الرقاب[١٧]، فضلاً عن إقامة الولائم...

ومن مصاديق التسامح المذهبي عند الخلفاء الفاطميين: أن الخليفة العزيز بالله الفاطمي (ت٣٨٦هـ)، أمر وزيره (يعقوب بن كلّس) (ت٣٨٠هـ)، بتعيين سبعة وثلاثين فقيهاً معلوماً لدى الخليفة، من مختلف الفرق، والمذاهب الاسلامية، لتدريس الفقه، واصوله على مذاهبهم، بعد صلاة الظهر، من كل يوم جمعة حتى العصر، في الجامع الأزهر الذي اكتُمِلَ بناؤه سنة (٣٦١هـ)[١٨].

فمن الفقهاء السنة الذين نزلوا مصر، ودَرسوا فيها أيام الفاطميين، ودرّسوا الفقه الشافعي ابو العباس أحمد بن محمد الدبيلي[١٩](ت ٣٧٣هـ)، والفقيه المالكيُّ المصنِّفُ في القراءات ومعانيها، وفي (مشكل اعراب القرآن): ابو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)[٢٠]...

ووصلت ثقة الخلفاء الفاطميين، في العصر الثاني من حكمهم، بفقهاء الجماعة، مستوى متميزاً، حين أوفد الخليفة (المستنصر بالله الفاطمي) (ت٤٨٧هـ)، الفقيه الشافعي أبا عبد الله محمد القضاعي (ت٤٥٤هـ)، سفيراً الى (تيو دورا) امبراطورة الدولة البيزنطية سنة (ت٤٤٧هـ)، وذلك لعقد الصلح بين الدولتين، والحصول على الغلال، والأرزاق، والمؤن، لأن مصر كانت تعاني حينها، من ضائقة اقتصادية [٢١]، ومعيشية، خانقة، مصاحبة لشحة المياه في نهر النيل.

ولاشك في ان الجوامع أيام الفاطميين، كانت الى جوار كونها بيوتاً للصلاة، والعبادة، والخطابة الدينية، كانت كذلك الأماكن الأولى، لدراسة هؤلاء الفقهاء، وتدريسهم، القرآن الكريم وعلومه، والحديث النبوي الشريف وروايته، والقراءات وشرائطها، والفقه واصوله، على مذاهب السنة، والشيعة، الرئيسة... فمن ذلك: أن حرص الدعاة الفاطميون، على ايضاح جوانب من عقيدتهم الاسماعيلية، ونشرها على الملأ، ليؤمن بها مَن يؤمن، وُيُناقش فيها مَن يُناقش، بكل أريحية، مثلما فعل وزير العزيز بالله الفاطمي (ت٣٨٦هـ)، (يعقوب بن كلس) (ت٣٨٠هـ)، من عَرْضِ رسالته الاسماعيلية، المسماة بـ(الوزيرية)[٢٢]، وشرحها للحضور من (الخواص، والعوام)، في الجامع العتيق بمدينة الفسطاط، مع ماتضمنتهُ من نقولٍ عن الخليفتين الفاطميين (المعز لدين الله) (ت٣٦٥هـ)، و(العزيز بالله) (ت٣٨٦هـ)، ومناقشة الاراء المبثوثة فيها، دون تعصب، أو مكابرة...

وشهدت المساجد أيام الخليفة (الحاكم بأمر الله) الفاطمي (ت٤١١هـ)، تطوراً ملحوظاً في عمارتها، ودر الجريات عليها، إذا أقام (الحاكم) ((الرواتب لمن يأوي المساجد، من الفقراء، والقرّاء، والغرباء، وأبناء السبيل، وأجرى لهم الأرزاق، وصاغ محراباً عظيماً من فضة، وعشرة قناديل، ورصَّع المحراب بالجواهر، ونصبه بالمسجد الجامع))[٢٣].

وفي القاهرة المعزّية التي احتضنت اشهرَ جوامعها على الاطلاق (الجامع الازهر)، بنى الخليفة الفاطمي (العزيز بالله) (ت٣٨٦هـ)، مسجداً اكتمل بناؤه في عهد ابنه (الخليفة الحاكم بأمر الله) (ت٤١١هـ)، سنة (٤٠٣هـ)، وأمر الأخير برفده بالقناديل، وبستة وثلاثين الف ذراع من الحصر، وأوقف أملاكاً للإنفاق عليه سنة (٤٠٤هـ)[٢٤]، وسُمِّيَ بجامع الحاكم، أو الجامع الأنور.

ومن دور العبادة، والتأمل، والانقطاع الى الله -عز وجل- أيام الفاطميين: كانت الرّبط، والزوايا، وهي وان لم تكن من عقائد الفاطميين الأساسية، الّا انهم لم يمانعُوا عنوة من وجودها، وكثرة المتصوفة فيها، على غير مذهب الاسماعلية، اذ ذكر الاصطخري انه ((ليس من بلد، ولا منهل، ولامفازة مطروقة ، ولا قرية آهلة، الا بها من الرباطات))[٢٥].

وليس ببعيد عن الجوامع، والربط، كان تشييد المدارس زمن الفاطميين، بإيعاز من خلفائهم، او من وزرائهم، أمراً جليًّا، لتدريس مختلف العلوم الدينية، والانسانية، والادبية، والعلمية الصرفة، وان كانت علوم الشريعة على مذاهب الجماعة، لها حصة الاسد من تلك الدروس، مايكشف عن ايثار الخلافة الفاطمية، لطوائف السنة على طائفتها، وتعاضد تلك الخلافة مع شرائح المجتمع المتنوعة، انسانيًّا، واجتماعيًّا، وعلميًّا... اذ نذكر في هذا الايثار من المدارس: المدرسة الحافظية التي أمر الخليفة الفاطمي (الحافظ لدين الله عبد المجيد) (ت٥٤٢هـ) بأنشائها في ثغر مصر (الاسكندرية)، لجمع الطلاب، والقرّاء، فيها للدراسة، والسكن، كما امرَ أن يُؤمِّنَ ديوانُ الخلافةِ، احتياجات المدرسة، والطلبة، من لوازم ضرورية، ومعيشة حد الكفاف، وأسند أمر الاشراف على المدرسة وطلابها، للفقيه المالكي (أبي طاهر بن عوف) (ت٥٨١هـ)[٢٦]، وهذا دليل ناصع على تسامح الخلفاء الفاطميين الشيعة، مع المذاهب الأخرى، بعيداً عن عنصرية تسلط الحكم، أو المذهب، أو الهوى، أو القرابة...

وفي زمن الخليفة الفاطمي (الظافر اسماعيل) (ت٥٤٩هـ) ، شيَّدَ وزيرُهُ (أبو الحسن العادل بن السلار) (ت٥٤٨هـ) سنة (٥٤٤هـ)، مدرسة في الاسكندرية كذلك، مخصصة لتدريس المذهب

الشافعي للطلبة السّنة، وسماها بـــ(العادلية)، ونسَّب فيها رواية الحديث النبوي الشريف، الى المشهور (أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي) (ت ٥٧٦هـ)، فضلاً عن الاشراف عليها والتدريس بها[٢٧]، بمعونة عدد آخر من المدرسين، منهم: المدرس ابو المعالي رافع القيسي (ت٥٥١هـــ)، ثم ألحق الوزير بالمدرسة مسجدًا، وعيَّن له امامًا، ومؤذنًا...

واستمر عمل المدرسة العادلية، أو السلفية، نسبة لأبي طاهر السلفي -مار الذكر- حتى لما بعد سقوط الدولة الفاطمية سنة (٥٦٧هـ)، على يد صلاح الدين الأيوبي (ت٥٨٩هـ).

ولما كان الشيء بالشيء يُذكر، فإننا نذكر ان السلاجقة حين سيطروا على المشرق الاسلامي، قرابة المائة من سنة (٤٤٧هـــ)، حتى سنة (٥٤٧هـــ)، فإنهم أغلقوا المدارس الشيعية أيا كان مرجعها في مناطق نفوذهم، بحجة أنها ضلالات، وبدع، ومخالفة للشريعة الاسلامية الحقة، على خلاف روح التسامح التي اظهرها الفاطميون في الوقت نفسه، ازاءَ تعليم ابناء السنّة لمذاهبهم.

ولنشـر العلوم، والآداب بين الرعية في الدولة الفاطمية، والوافدين اليها، كان لابد من انشـاء المكتبات العامة، واتقان تصـميمها، لتسـتوعب الكم الهائل من الآثار الخطية، والمجلدات، والرسـائل، في التخصـصـات المتنوعة (العلمية، والانسـانية، والدينية)، وترتيبها على وفق أنظمة خاصة...

والحق ان ولع الخلفاء الفاطميين بالمطالعة، وعقدهم المجالس الأدبية، والمناظرات الفكرية، مع الادباء، والعلماء، وشـغفهم باشـاعة التعليم، والمعرفة، بين الخاصـة، والعامة، عندهم دون استثناء، كانت أسباباً مباشرة، وغير مباشرة، في تطور الحركة الأدبية، والعلمية، ايامهم، من قبيل التشـجيع على التأليف، وتشـييد المكتبات، من نحو ما اشـرنا اليه... ومن هذه المكتبات على وجه الاجمال:

١- مكتبة خزانة القصر؛ إذ كانت تحتوي على أعداد ضخمة، ومتنوعة، من الكتب، والرسائل، في سائر العلوم، والفنون، والآداب، كما كانت تحتوي على مجموعة نادرة من المصاحف الكريمة... وقد وصف المقريزي (ت٨٤٥هـ) هندسة ترتيب الخزانة، ومحتوياتها، بالقول: ((تحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف، في دور ذلك المجلس العظيم، والرفوف مقطّعة بحواجز، وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصـلات، وقفل، وفيها من أصـناف الكتب مايزيد

على مائتي الف كتاب من المجلدات، ويسير من المجردات، فمنها: الفقه على سائر المذاهب، والنحو، واللغة، وكتب الحديث، والتواريخ، وسير الملوك، والنجامة، والروحانيات، والكيمياء، من كل صنف... ومنها... من المصاحف الكريمة، في مكان فوقها، وفيها من الدروج بخط ابن مقلة، ونظائره كابن البواب...))[٢٨].

وكان المقريزي (ت٨٤٥هـ)، قد ذَكَرَ حرصَ الخليفة الفاطمي (العزيز بالله) (ت٣٨٦هـ)، على جمع امهات الكتب في خزانة القصر، فقال مبيّنًا ماحصل: ((وَذُكِرَ عند العزيز بالله، كتابُ العين، للخليل بن أحمد، فأمر خزّان دفاتره، فأخرجوا من خزانته نيفًا وثلاثين نسخة من كتاب العين، منها نسخة بخط الخليل بن احمد، و وَحَمَلَ إليه رجل نسخةً من كتاب الطبري، اشتراها بمائة دينار، فأمر العزيز الخزّان، فأخرجوا من الخزانة ماينيف على عشرين نسخةً من تاريخ الطبري، منها: نسخةٌ بخطه، وَذُكِرَ عنده كتابُ الجمهرة لابن دريد، فأخرج من الخزانة مائة نسخة))[٢٩].

واكثر من هذا، ان الخليفة الفاطمي -مثالاً على ثقافته، وحبه للعلم- كان كثيراً مايزور خزانة قصره، ويجلس على دكة منصوبة، ويمثل بين يديه أمين الخزانة، ويأتيه بالكتب التي يريد قراءتها في الخزانة، أو التي تُحمل اليه في مجلسه الخاص، وَيُعْرِضُ عليه مايُقْتَرحُ شراؤه من المصنفات[٣٠].

٢- دار العلم: أول مكتبة ضخمة، مستقلة، خارج مساجد القاهرة بمصر الفاطمية، أمر الخليفة (الحاكم بأمر الله) (ت٤١١هـ)، بتشييدها سنة (٣٩٥هـ)، وقد حُمِلَتْ اليها الكتُب من كل الأماكن، وبخاصة من خزائن القصور الفاطمية، ليرتادها من يريد المطالعة فيها، أو النسخ لما يشاء، أو القراءة لما يحب، أو الدرس لمن يرغب بالتعلم، أو التدريس لمن يتمكن ويبرع في علم ما، فـ(جلس فيها القرّاء، والمنجمون، وأصحاب النحو... والأطباء، بعد أن فُرِشَت هذه الدار... وَزُخْرِفَتْ، وَعُلِقَتْ على جميع أبوابها، وممراتها، الستور، وأقيم قوّام، وخدّام، وفرّاشون، وغيرهم، وُسِمُوا بخدمتها، وَحُصِّلَ في هذا الدار... من سائر العلوم، والآداب، والخطوط المنسوبة، مالم يُرَ مثله مجتمعًا، لأحدٍ قطُّ من الملوك، وأباحَ ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم، فكان ذلك من المحاسن المأثورة... التي لم يُسْمَعْ بمثلها، من اجراء الرزق السنيّ، و... مايحتاج الناس إليه، من الحبر، والأقلام، والورق،

والمحابر..))[٣١]. فأمســـت بهذا التأهيل، والتجهيز، والحرية، والإباحة، والمبتغى العلمي، نظيرةً لمكتبة (بيت الحكمة)[٣٢] التي بناها المأمون العباسي (ت٢١٨هـــ)، في بغداد، وربما فاقتها في بعض المزايا...

ومن محاســـن (دار العلم) كذلك: عقد المناظرات الفكرية، والندوات العلمية، والمجالس الدينية فيها، وبأشراف شخصي من لدن الخليفة الفاطمي (الحاكم بأمر الله)[٣٣]...

وكان من أوائل الذين لهم صـيت في التدريس، ونشـر المذهب الاسـماعيلي على طلبة العلم الراغبين بذلك، في(دار العلم): القاضـــي (عبد العزيز بن محمد بن النعمان المغربي) (ت٤٠١هـ)[٣٤]...

ومن أوائل فقهاء السّنة الذين القوا المحاضـرات على طلبتهم في (دار العلم)، دلالة على تسامح الخليفة الفاطمي (الحاكم بأمر الله) (ت٤١١هـ)، مع المذاهب الأخرى: الفقيه المالكي (ابو بكر الانطالي)[٣٥].

وَيُذْكَرُ ان الخليفة (الحاكم بأمر الله الفاطمي) (ت٤١١هـــــ) ، أُعْجِبَ بِعِلْمِ النحوي المكفوف (أبي الفضل جعفر)، الحنفي، المذهب (كان حيًّا في سنة ٤٠٥هـــ)، وخلع عليه لقب (عالم العلماء)[٣٦]، وأفرد له مكاناً في (دار العلم)، لتدريس (النحو، واللغة)، الى جانب الشيوخ في تدريس علوم الشريعة، والفلسفة، والرياضيات[٣٧]، والطب.

ومن الطبيعي ان لا نجد تلك الرعاية للعلوم، والفنون، والاداب، في الدولة الفاطمية، ان لم يكن الخلفاء فيها على قدر مهم من الادراك، والمعرفة، والســـخاء، والتســـامح، فقد قيل مثلاً -في شخصية الخليفة (أبي طاهر اسماعيل المنصور بالله الفاطمي) (ت٣٤١هـ): ((كان فصيحًا، بليغًا، خطيبًا، حاد الذهن، حاضر الجواب، بعيد الغور، جيد الحدس))[٣٨].

وقد حذا معظم الأمراء، والقادة، وكبار رجال الدولة، حذو الخلفاء الفاطميين، في تعليم أبنائهم المعارف المتنوعة، فأوكلوا أمر ذلك الى المؤدبين من الشـــيوخ، والعلماء، والفقهاء، والادباء، المعروفين في زمانهم، فقد أشار ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) -مثلاً- الى ان القائد حسين بن جوهَر الصقلّي (ت٤٠١هـــ) -أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي (ت٤١١هـــ)- كان قد أوكل أمر تربية ولديه،

وتعليمهما، الى الأديب، الراوية، اللغوي (علي بن منصور... المعروف بابن القارح) (ت٤٦١هـ)[٣٩].

وبالمقابل، استظل كثير من العلماء، والأدباء، والفقهاء، بظل الدولة الفاطمية، حين وجدوا رغيد العيش، وأمنه، موفورًا هناك، وقد اغدق عليهم الخلفاء، والامراء، والوزراء، والولاة، والقضاء، والقادة، وكبار رجال الدواوين، واعيان الدولة، مزيداً من الإكرام، والمحبة، والتعاون، والاهتمام بصنوف المعارف الانسانية، والعلمية، فأعطى هؤلاء العلماء، والادباء، والفقهاء، غاية المجهود في تخصصاتهم، وتصانيفهم، ليرتقوا بالحركة الثقافية الى درجة سامقة...

ففي حقل الدراسات الفقهية، والشرعية -مثلاً- لمع اسم الفقيه الاسماعيلي؛ القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد المغربي (ت٣٦٣هـ)، صاحب كتاب (دعائم الاسلام)، الذي ألفهُ بأمر من الخليفة الفاطمي (المعز لدين الله) (ت٣٦٥هـ)، ونشر فيه العقيدة الاسماعيلية[٤٠]، وردّ الاتهامات الموجهة ضدها، مستعيناً في ذلك، بالنصوص القرآنية الكريمة، والاحاديث النبوية الشريفة، وأقوال الأئمة الأطياب -عليهم السلام- وله كتاب (المجالس، والمسارات)، قد عرض فيه جوانب تاريخية مهمة، كقطع من سير الخلفاء الفاطميين[٤١] (المهدي بالله ت٣٢٢هـ، والقائم بأمر الله ت ٣٣٤هـ، والمنصور بالله ت٣٤١هـ، والمعز لدين الله ت٣٦٥هـ)، وله كتب أخرى كثيرة[٤٢]، ومعظمها يقوم على الحجاج، وتقديم الادلة النقيلة، والعقلية...

ومن كتّاب التاريخ، والسير -مثلاً- : (أبو محمد الحسن بن ابراهيم... المعروف بابن زولاق الليثي المصري) (ت٣٨٧هـ)، الذي ألّف كتباً كثيرة، لم يصل الينا معظمها، وأهم ماصل الينا منها؛ كتابه في (فضائل مصر، واخبارها، وخواصها) وكان قد تولّى مدة من الزمن النظر في المظالم[٤٣].

ومن كتّاب السّير والتاريخ كذلك، ولاسيما مَن وثَّقَ في كتاباته، جوانب مهمةً من الحوادث، والمشاهدات، ومعالم الحضارة الفاطمية: (عز الملك محمد بن عبد الله الحرّاني... المعروف بـ (المسبحي) (ت٤٢٠هـ)، المقرّب من الخليفة الفاطمي (الحاكم بأمر الله) (ت٤١١هـ)، وقد تولّى له مرات عدة (ديوان الترتيب)...

وَيُعْرَف كذلك بـــــ(ديوان التحقيق)[٤٤]، (في العصـــر الفاطمي الثاني)، ومهمته التنســيق بين الدوواين المختلفة، لإنجاز الأعمال المنوطة بها، وأشــهر ماصــنّفَهُ المســبحي، تاريخه المعروف بـــــ(تاريخ مصــر)[٤٥]، وفيه حديث مفصّــل عن الخلفاء، والأمراء، والوزراء، والقادة، والولاة، المتعاقبين على حكمها، كما ان فيه حديثًا عن النيل، والأبنية، والطبيعة، وأصـناف الطعام، وشـيء من تفصيلات الحياة اليومية، والأدبية، والغناء، في مصر، ولعل من اهم اراء المسبحي؛ ان نقص الغلال، وارتفاع الاسعار، مرات عدة بمصر الفاطمية، ناشيء عن انخفاض مستوى المياه في نهر النيل.

ومادام الحديث عن وصـف مصـر (بلادًا، وعبادًا)، فإن من أهم الرحّالة الذين زاروا مصـر الفاطمية، وقنطوا فيها مدة من الزمن، ووصـــفوا لنا رخاءها، واســـتقرارها في ظل الفاطميين: الجغرافي (ابو القاسـم محمد بن حوقل النصـيبي) (ت٣٦٧هـــــ)[٤٦]؛ الذي قال في كتابه الشـهير (صـورة الارض)، أو المسمى (المسـالك والممالك)، في بعض مدن مصـر: ((ضـمت من المحال، والأسواق... والارتفاع، بالحمامات، والفنادق، الى قصور مشيدة، وَنِعَمٍ عتيدة، وقد أحدق بها سور منيع))[٤٧].

ومن نظائر هذا القول، ولكن في الجانب السـياسـي، والأمني، للخلافة الفاطمية ورعيتها: قول (شـمس الدين ابي عبد الله محمد بن أحمد المقدسـي) (ت٣٨٠هـــــ) في كتابه (أحسـن التقاسـيم في معرفة الأقاليم) في الخليفة الفاطمي: (سـلطان قوي غني، والرعية في راحة... لايُخطَبُ الّا لأمير المؤمنين حسب)[٤٨].

وَمَن دارَ في فلك الرحلات، والتجوال: المؤرخ العالم، الأديب (أبو معين ناصـــر بن خسْـــرو الحسـني)[٤٩] (ت٤٨١هـــــ)، الذي رحل عن موطنه خراسـان، الى مدن العالم الاسـلامي الأخرى، واستقر في مصر ثلاث سنوات، والتقى بالخليفة الفاطمي (المستنصر بالله) (ت٤٨٧هـــ)، واعتنق المذهب الاســـماعيلي تأثرًا، واقتناعًا، وألف فيه مَصـــنّفه (وجه الدين في عقائد الاســـماعيلية)، ووصـــف دور القاهرة أيام الفاطميين في كتابه التاريخي الجغرافي (ســفر نامه)، قائلًا: ((وكانت البيوت من النظافة، والبهاء، بحيث تقول: إنها بُنيَت من الجواهر الثمينة، لامن الجص، والآجر، والحجارة، وهي بعيدة بعض عن بعض، فلا تنمو أشجار بيت على سور بيت آخر، ويستطيع كل مالك، أن يعمل ماينبغي لبيته في كل وقت، من هدم، أو اصلاح، دون أن يُضايق جاره))[٥٠].

ومن عالَمِ الادب، واتجاهاته، مما ليس بعيداً عن تاريخ المدن، ووصـــف الأماكن: نذكر(أبا الحسن علي الشابشتي) (ت ٣٨٨هـــ)، وقد اتصل بخدمة (العزيز بالله الفاطمي) (ت ٣٨٦هـــ)، فولاه خزانة كتبه، وأتخذه من جلسـائه، وكان من أهل العلم، والفضـل، والأدب، وله كتاب شـهير اسمه(الديّارات)، أورد فيه أخباراً طريفة (شعرية، ونثرية)، عن اديرة العراق، والجزيرة، والشام، ومصر[٥١].

والمعلوم ان الأدب كان قد ازدهر تحت ظل الحكم الفاطمي، اذ توافرت له مقومات الرقي، والابداع، فضلاً عن تشجيع الحكام للشعراء، والمنشئين، ماديًّا ، ومعنويًّا[٥٢]، مثال ذلك: نذكر(عبد الرحيم بن علي البيساني المعروف بالقاضي الفاضل) (ت٥٩٦هـ)... اذ تمَّ تعينه في أَول أمـــره -وهو سني- كاتبًا في ديوان الإنشاء، تحت رئاسة (الموفق يوسف بن الخلال) (ت٥٦١هـــ)، ثم تدرج في المناصـب -بسـخاء الخلافة الفاطمية المعهود- حتى غدا متوليًّا لديوان الجيش، مدة من الزمن، ثم رئيسًـا لديوان الإنشـاء[٥٣]، لينقلب بعدها على أولياء نعمته بجحود، ونكران فضـل، وغدر، مناصراً في تلك الحال(صلاح الدين الأيوبي) (ت٥٨٩هـ) في اسقاطه الدولة الفاطمية...

وفي حقول العلوم التطبيقية، والصـرفة؛ نذكر الطبيب (أبا الحسـن علي بن رضـوان) (ت٤٥٣هـ)، الذي ذاع صيته في البلاد، فألحقَهُ (الحاكم بأمر الله الفاطمي) (ت٤١١هـ)، بحاشيته، وعيّنَهُ طبيبًا خاصًّا له، ورئيسًا لأطباء مصر[٥٤].

ويشـار بفخر الى العالم الفيزيائي، والرياضـي المهندس، طبيب العيون، (أبي علي الحسن بن الحسن بن الهيثم البصري) (ت٤٣٠هـــ)، وقد روت المصادر القديمة، أحد أسباب قدومة المهمة، الى مصر، ايام الخليفة (الحاكم بأمر الله الفاطمي) (ت٤١١هـ)، والإقامة فيها سنوات... وملخص مارُوِيَ؛ أن العالِمَ (ابن الهيثم)(ت٤٣٠هـ)، حين كان في البصرة، رأى إمكانية بناء سد منيع على نهر النيل -رياضـيًّا، وهندسـيًّا- يحجز المياه وقت فيضـانها، ويطلقها وقت انخفاض مناسـيبها... فتناهى ذلك فيما بعد، الى سمع الخليفة (الحاكم بأمر الله الفاطمي) (ت٤١١هـ)، فبعث الأخير لابن الهيثم مالًا، ودعاه لمصـر، لتنفيذ رؤيته، فلما دخلها، خرج الخَلِيفة الحاكم لاسـتقباله بحفاوة بالغة، عند قرية على أطراف القاهرة، تسـمى (الخندق)، وقد هيّأ له الخليفة في المدينة مأوَىَ، يجد فيه الراحة من نصـب السـفر، والتهيئة لما أراد تنفيذه، فلما حان وقت العمل، خرج ابن الهيثم برفقة عدد من المتخصصين في الهندسة، والعمارة، متتبعًا وإياهم، مجرى نهر النيل، لتحديد موقع بناء

السد المقترح، لكنه أدرك بعد المعاينة، والتفكير، الصعوبة البالغة في تطبيق فكرتِه علميًّا، وعمليًّا، لاتساع مجرى النهر كلما اتجه جنوباً نحو منبعه... فَضَعُفَت هِمّتُهُ، وَأُسْقِطَ في يَدَيْهِ... وهنا تتباين المصادر القديمة على صورتين في ذكْر مَاحَصَل بعد ذلك... فمصادر الصورة الأُولى تدّعي ان ابن الهيثم لمّا رأى استحالَة مَاعزمَ عليه، ادّعى الجنون خوفاً من ردة فعْل الخليفة (الحاكم بأمر الله)(ت٤١١هـ)، فأشفق عليه الخليفة، وأسكَنَهُ في منزلَ تُلَبى فيه حاجاته الاساسية، حتى مات الخليفة(الحاكم بأمر الله) (ت٤١١هـ)، عندها أظهر ابن الهيثم للعلن، وللملأ، صحة عقله، وكذبَ ادعائه الجنون... ومصادر الصورة الثانية، ترى ان ابن الهيثم، فاتح الخليفة (الحاكم)، بعدم امكانية تنفيذ مشروع السد، واعتذر للخليفة عن رأيه الأول، فقبَلَ منه ذلك، وبَقى ابن الهيثم في القاهرة، يُصَنّفُ عدداُ من الكُتُب العلميَة، مع شدة أسفه، وحُزنِه على ماكان، ثم أسندَ اليه الخليفةُ، العمل في بعض الدواوين، من باب ارضاء الخواطر، وتطييب النفوس[٥٥] -تسامحًا، وكرمًا، مَن لدن الخلافة الفاطمية- وبعد وفاة الخليفة (الحاكم بأمر الله) (ت٤١١هـ)، تنقل ابن الهيثم في المدن، والبلدان الاسلامية، ثم حطّ الرحال مرة أخرى في القاهرة، حتى وفاته سنة(٤٣٠هـ).

ويبدو أن الصورة الثانية، أو الرواية الثانية، في المصادر القديمة، أقرب للتصديق من الصورة الأولى، أو الرواية الأُولى، لصعوبة تطبيق ادعاء الجنون بكل حركاته، وسكناته، في الواقع، ولأن ابن الهيثم، ألَّف عدداً من المصنفات وهو في مصر، كـ (كتابه) الأشهر (المناظر)، فكيف لمجنون أن يقوم بذلك؟!!!

وفي حقل الفلك، والتنجيم، نشير اختصاراً الى اسم لمع بنشاط أيام الفاطميين، وهو(أبو الحسن علي بن يُونس المنجم) (ت٣٩٩هـ)، الذي شجّعَهُ الخليفة الفاطمي (الحاكم بأمر الله) (ت٤١١هـ)، وأعانه على بناء مرصد فلكي قرب القاهرة، وأتم تأليف كتابه الشهير (الزيج الحاكمي)، ومادته في المواقيت، وحركات الأفلاك[٥٦].

ثمرات البحث:

كانت الخلافة الفاطمية، قد اسست دولة ذات صبغة حضارية، عمرانية، انسانية، معرفية، ونافست فيما مضى الخلافة العباسية في بغداد، والأموية في الأندلس، -ان لم نقل قد تفوقت عليهما في عدة مجالات، وبخاصة في المجال الانساني المتحضر-.

وقد كتبت أقلام كثيرة (قديمة، وحديثه، منصفة، وغير منصفة)، في تاريخ هذه الدولة، وطابعها الاسماعيلي، وسير خلفائها، واعيانها، وخصائص جغرافيتها، ومواردها، وتمدنها، وسمات شرائحها الاجتماعية، وعقائدهم، وصفات علومها، وفنونها، وآدابها، وغير ذلك... لكننا عمدنا في هذا البحث الموجز، أن نثبت ما قلَّ فيه النظر والتأمل، وماغيبت محاسنه خصوم الدولة الفاطمية، من الأولين، والمتأخرين، -سهوا، أو عمداً- بسبب مذهبها الاسماعيلي غير المتفق مع مذاهب السنة أوّلًا، وبسبب انكار فريق من الجماعة انتماء خلفائها الى الدوحة الفاطمية المحمدية الشريفة ثانيًا، فكان أن وقف الباحثان عند محطات تراثية -بالنص، أو بالمضمون المسند- تجمع أطرافاً من (التاريخ، والأدب، والثقافة)، تجسدت فيها قيم (التسامح، والتعاضد، والسخاء)، عند الخلفاء الفاطميين، وخواصهم، تجاه رعاياهم...

وقد أشار الى هذه القيم بشكل عابر، مصنفون على غير وفاق في الفكر مع تلك الدولة، في ثنايا استعراضهم لما قيل، ووقع، وحصل... (والفضل ماشهدت به الأعداء).

ولم يَفْصُلْ هذا البحث الموجز بين القيم الانسانية المذكورة، لأنها، متواشجة، متناغمة، مترابطة مع بعضها، توصل كل قيمة منها، الى قيمة أخرى، وهكذا لباقي القيم، والشيم...

فَمِن نسب الفاطميين الشريف الى أهل البيت -عليهم السلام- واغاثتهم المحتاجين من العامة باستمرار، الى بث الطمأنية، والأمن في قلوب الناس، على ارواحهم، واموالهم، ومصالحهم...

ومن التسامح في قبول الآخر المخالف عقيدة، وتعيينه في الوظائف الادارية، ودووابن الدولة ووزارتها، الى التعاضد مع أهل الرأي والعلم، في بناء المدارس، واشراك اصحاب الفرق الاسلامية غير الاسماعيلية في الإشراف عليها، والتدريس فيها -اعتدالًا وتعايشًا- ومن السخاء في التوسع ببناء المساجد، وعمارتها، وتزيينها –السنية، والشيعية- فضلًا عن الربط المنتشرة للتصوف، او للعلم، أو للجهاد، الى رفد الحركة العلمية، والدينية، والأدبية، بالآف الكتب،

والرسائل، المصنّفَة في البلاد، أو المنقولة اليها، تزامنًا مع تشييد المكتبات الخاصة، والعامة، ومن أشهرها في العالم الاسلامي وقتذاك، مكتبة (دار العلم) التي اسسها الخليفة الفاطمي (الحاكم بأمر الله)(ت٤١١هـ)... وكل ذلك الى جانب تشجيع الدولة الفاطمية، العلماء، والفقهاء، والادباء - ماديًّا، ومعنويًّا- لمتابعة جهودهم المعرفية في تخصصاتهم المتنوعة، ومن ثمَّ تقريب المتميزين منهم الى بطانة الخلافة، والبذل المتواصل لهم، بغض النظر عن انتماءاتهم الطائفية، أو العرقية، والشواهد المركّزة في هذا البحث، دليل على مانقول... وبالجملة، كانت الدولة الفاطمية التي عاشت قرابة القرنين ونصف من الزمان من (٢٩٧هـ -٥٦٧هـ)، دولة خير، وأمن، ومحبة، نتيجة اتخاذها قيم التسامح، و التعاضد، والعطاء الجزيل، منهجًا عامًّا لها، وهو ما أكده الباحثان في هذه الدراسة، والحمد لله أولًا واخرًا...

الهوامش:

[١] ينظر الحديث عن الدولة الفاطمية -على سبيل المثال لا الحصر- في/ تاريخ الاسلام، ووفيات المشاهير والاعلام /وفي/ عبيد الله المهدي، امام الشيعة الاسماعيلية، ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب /وفي/ علاقات الفاطميين في مصر، بدول المغرب (٣٦٢هـ-٥٦٧هـ).

[٢] يُنظر الحديث عن بناء القاهرة -على سبيل المثال لا الحصر- في/ الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة.

[٣] ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي (ت٣٧٤هـ)/ ٢٦٩.

[٤] المصدر نفسه/ ١١٩.

[٥] اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا /١/ ١٥١.

[٦] المصدر نفسه/ تحقيق د. جمال الدين الشيال/ طبع المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية/ ١٩٦٧/١/ ٢٢٥.

[٧] من نصوص هذا الشاعر مذكورة في/ حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية/ ٥٩.

[٨] سورة القصص/ الاية ٨٣.

[٩] اتعاظ الحنفا بأخبار الآئمة الفاطميين الخلفا/ ٣٠٩/٣.

[١٠] البداية والنهاية/ ١٢/ ٢٥٧.

[١١] يُنظر التعليق على ذلك في/ حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية/ ٣١.

[١٢] يُنظر أخبار مصر سنتين/ ٢٤٨.

[١٣] يُنظر أثر مدينة (القاهرة)، في حركة الاقتصاد الفاطمي، في/ حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية/ ١٨.

[١٤] يُنظر اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا/٢ /٢٩٢.

[١٥] الدولة الفاطمية في مصر؛ تفسير جديد/ ٥٠٢.

[١٦] النجوم الزاهرة في ملوك مصـــر والقاهرة/ جمال الدين أبو المحاســـن يوســـف بن تغري بردي الاتايكي (ت٨٧٤هـــ)/ قدّم له، وعلّق عليه، محمد حسين شمس الدين/ ط١/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ لبنان/ ١٩٩٢/ ٩٧/٤.

[١٧] يُنظر المواعظ والاعتبار، بذكر الخطط والآثار / ٢/ ٤٤١.

[١٨] يُنظر المصدر نفسه/ ٤/ ٥٢/ ويُنظر التعليق على ذلك في/ حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية/ ٣٦.

[١٩] يُنظر الوافي بالوفيات/ ٨/ ٩١.

[٢٠] يُنظر وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان/٥/٢٧٤- ٢٧٧.

[٢١] يُنظر اتعاظ الحنفا بأخبار الآئمة الفاطميين الخلفا/ ٢/ ٢٣٠/ ويُنظر التعليق على ذلك، في/ التعليم في مصـــر في العصر الفاطمي الأول/ ١٢٥.

[٢٢] يُنظر المزيد عن الجامع العتيق في الفسطاط، في/ حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة/ ٢/ ٢٤٢.

[٢٣] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ طبعة دار الكتب/ القاهرة/ ١٩٦٣/ ٤/ ٢٢٣.

[٢٤] يُنظر حُسْنُ المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة / ٢/ ٢٥٣.

[٢٥] مسالك الممالك/ ١٣٨.

[٢٦] يُنظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب/ ١/ ٢٩٣.

[٢٧] يُنظر طبقات الشافعية الكبرى/ ٦/ ٣٧.

[٢٨] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار /٢/ ٢٩١.

[٢٩] المصدر نفسه / ٢/ ٢٩٠.

[٣٠] يُنظر المصدر نفسه/ ٢/ ٢٩١.

[٣١] المصدر نفسه/ ٢/ ٢٧٣.

[٣٢] يُنْظر التعليق على ذلك في/ حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية/ ٣٧.

[٣٣] يُنظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار /٢/ ٣٧٩.

[٣٤] يُنظر رفع الإصر عن قضاة مصر/ ٢٤٧.

[٣٥] يُنظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ طبعة دار الكتب/ القاهرة/ ١٩٦٣/ ٤/ ٢٢٢.

[٣٦] يُنظر رفع الإصر عن قضاة مصر/ ٧٢.

[٣٧] يُنظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار / ٢/ ٣٨٠.

[٣٨] اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا/ ١/ ٨٨.

[٣٩] يُنظر ارشاد الأريب الى معرفة الأديب/ ٤/ ٣٣٣.

[٤٠] يُنظر الحديث عن ذلك، في/ مذاهب الإسلاميين/ ٩٤٧.

[٤١] يُنظر التعليق على هذا الكتاب، وغيره، في/ في أدب مصر الفاطمية/ ٦٧.

[٤٢] من كتب القاضـــي أبي حنيفة النعمان المغربي، الاخرى، يُنظر/ الهمة في آداب اتباع الأئمة/ ويُنظر/ شـــرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار.

[٤٣] يُنظر المقفى الكبير/ ٣/ ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦.

[٤٤] يُنظر صبح الأعشى في صناعة الإنشا /٤٨٩/٣.

[٤٥] يُنظر شيء مهم من سيرة المسبحي، ونشاطه التاريخي، والأدبي، والانساني، في/ المقفى الكبير/ ٦/ ١٦٤.

[٤٦] يُنظر شيء من سيرته، في/ الاعلام/ ٦/ ١١١.

[٤٧] صورة الارض/١/ ١٣٨.

[٤٨] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم/ ١٨٣.

[٤٩] يُنظر جانب من ترجمة ناصر خسرو، في/ معجم المؤلفين/ ١٣/ ٧٠.

[٥٠] سفر نامه/ ٩.

[٥١] يُنظر الوافي بالوفيات/ ٢/ ٥٦١.

[٥٢] تنظر الاشارة الى ذلك، في/ حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية/ ٧.

[٥٣] يُنظر النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية/ ١٨/ ٥٣، ٥٤.

[٥٤] يُنظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ طبعة دار الكتب/ القاهرة/ ١٩٦٣/ ٥/ ٦٩.

[٥٥] ينظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء /٩٠، ٩١.

[٥٦] يُنظر التعليق على جهود أبي الحسـن علي بن يونس المنجم، في/ حركة الشـعر العربي في مصـر الفاطمية/ ٣٩.

المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم.

٢- أ/ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا/ تقي الدين أبو العباس أحمد بن على المقريزي (ت٨٤٥هـ) / تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد/ لجنة احياء التراث/ القاهرة/ ١٩٩٦.

ب/ الكتاب نفســه/ تحقيق د. جمال الدين الشــيال/ طبع المجلس الاعلى للشــؤون الاســلامية/ القاهرة / ١٩٦٧.

٣- أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم/ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (ت٣٨٠هـــ) / مكتبة مدبولي/ القاهرة/ ١٩٩١م.

٤- أخبار مصر في سنتين/ عز الدين المختار محمد بن عبد الله بن أحمد المسبحي (ت٤٢٠هـ) / تحقيق وليم ج ميلورد/ الهيأة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة/ ١٩٨٠.

٥- ارشاد الأريب الى معرفة الأديب، والمعروف اختصارًا بـ(معجم الأدباء) / أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ) / دار الكتب العلمية/ بيروت/ ١٩٩١.
٦- الاعلام/ خير الدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ) / ط١٥/ دار العلم للملايين/ بيروت/ ٢٠٠٢.
٧- البداية والنهاية/ ابو الفداء عماد الدين اسـماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ) / مكتبة المعارف/ بيروت/ ١٩٩١هـ.
٨- تاريخ الاسـلام، ووفيات المشـاهير والاعلام/ شـمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ) / تحقيق عمر عبد السلام التدمري/ دار الكتاب العربي / بيروت/ ١٩٩٣.
٩- التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول/ علي خطّاب عطية/ دار الفكر العربي...
١٠- حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية/ د. محمد حسين المهداوي/ ط١/ دار الكتب/ كربلاء/ ٢٠١٧م.
١١- حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم/ دار احياء الكتب العربية / مصر/ ١٩٦٧.
١٢- الدولة الفاطمية في مصر؛ تفسير جديد/ د. أيمن فؤاد السيد/ تنفيذ الهيأة المصرية العامة للكتاب/ مكتبة الأسرة/ ٢٠٠٧م.
١٣- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذاهب/ ابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (ت٧٩٩هـ) / دار التراث/ القاهرة.
١٤- ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي (ت٣٧٤هـ) / تحقيق محمد حسن الاعظمي/ دار الثقافة/ بيروت/ ١٩٧٠.
١٥- رفع الإصر عن قضاة مصر / أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) / تحقيق علي محمد عمر/ مكتبة الخانجي/ مصر/ ١٩٩٨.
١٦- سفر نامة/ أبو معين ناصر خسرو القيادناتي المروزني (ت٤٨١هـ) / ترجمة يحيى الخشّاب/ الهيأة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٩٣.
١٧- شـرح الأخبار في فضـائل الأئمة الاطهار/ القاضـي أبو حنيفة النعمان المغربي (ت٣٦٣هـ) / ط٢/ منشورات الاعلمي/ بيروت/ ٢٠٠٦م.
١٨- صبح الأعشى في صناعة الإنشا/ ابو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ) / دار الكتب العلمية/ بيروت.
١٩- صورة الأرض/ أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ) / مطبعة فؤاد بيان/ بيروت.
٢٠- طبقات الشافعية الكبرى/ عبد الوهاب تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ) / تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو/ هجر للطباعة والنشر والتوزيع/ ١٩٩٢.
٢١- عبيد الله المهدي امام الشـيعة الاسـماعيلية، ومؤسـس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب/ حسـن ابراهيم حسن، وطه احمد شرف/ مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة/ ١٩٤٧.

٢٢- علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (٣٦٢هـ - ٥٦٧هـ) (٩٧٣م- ١١٧١م) / أحمد حسن الخضري/ مكتبة مدبولي/ القاهرة.

٢٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ أحمد بن القاسم المعروف بـ (ابن أبي أصيبعة) (ت٦٦٨هـ) / المطبعة الوهبية/ القاهرة/ ١٨١٢.

٢٤- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة/ أبو أسحاق برهان الدين ابراهيم المعروف بـ(ابن ظهيرة) (ت٨٩١هـ) / تحقيق مصطفى السقا، وكامل المهندس/ القاهرة/ ١٩٦٩.

٢٥- في أدب مصر الفاطمية/ محمد كامل حسين/ مؤسسة هنداوي/ القاهرة/ ٢٠١٤.

٢٦- مذاهب الاسلاميين/ عبد الرحمن بدوي/ دار العلم للملايين/ بيروت/ ٢٠٠٨م.

٢٧- مسالك الممالك/ أبو اسحاق ابراهيم الاصطخري (ت٣٤٦هـ) / تحقيق محمد جابر عبد العال/ القاهرة/ ١٩٦٣.

٢٨- معجم المؤلفين/ عمر رضا كحّالة/ مطبعة الترقي/ دمشق/ ١٩٥٩.

٢٩- المقفى الكبير/ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٥٤هـ) / تحقيق محمد البعلاوي/ دار الغرب الاسلامي/ بيروت/ ١٩٩١.

٣٠- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار/ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٥٤هـ) / وضع هوامشه خليل المنصور/ ط١/ منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ١٩٩٨.

٣١- أ/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة/ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ) / قدّم له، وعلَّق عليه محمد حسين شمس الدين/ ط١/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ١٩٩٢.

ب/ وهناك طبعة أخرى للكتاب غير محققة/ طبعة دار الكتب/ القاهرة/ ١٩٦٣.

٣٢- النكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية/ أبو محمد عمارة بن علي المذحجي اليمني (ت٥٦٩هـ) / هرتويغ درنبرغ/ شالون/ فرنسا/ ١٨٩١.

٣٣- الهمة في آداب اتباع الأئمة/ القاضي ابو حنيفة النعمان المغربي (ت٣٦٣هـ) / تحقيق محمد كامل حسين/ دار الفكر العربي/ القاهرة.

٣٤- الوافي بالوفيات/ أبو الصفا صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) / تحقيق أحمد الارناؤوط، وتركي مصطفى/ ط١، دار احياء التراث العربي/ ٢٠٠٠.

٣٥- وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان/ أبو العباس شمس الدين أحمد... بن خلكان (ت٦٨١هـ) / تحقيق د. احسان عباس/ دار صادر/ بيروت/ لبنان.